احياء الاله من الصراعات الداخلية

07/06/2010

خالل

وضح لنا كل من علم أألعصاب والنفس صراعات إإلنسان الداخلية المتمثلة ما بين العقالنية الواضحة خصوصا

الفترة النهارية وبين تخيالت وأوهام الليل التي تجتاح االنسان، لترسله إلى متاهات الطفولة وإلى ذكريات بعيدة

، فمنها من يندمج مع ذكريات أخرى

.تراكمت عبر الزمن لتأخذ شكالً مختلفا لتشكيل صور جديدة في الذاكرة

دعونا نغوص في أصل آللهة، واألديان واالساطير والتي اتتنا من التجارب االنسانية المتراكمة والمرتكزة على

مرحلة الطفولة، حسب بعض الدراسات االنتربولوجية والنفسية والعصبية. فإذا تمعنا في عالقة إإللّه-إإلنسان، نرى أن

هذه العالقة عبارة عن انعكاس لعالقة أألهل-أألطفال، إال ان القلق الطفولي كان المؤثر أألساسي لدفعها إلى اخذ منح ى

قدرة وانتشارا طريق شراكة آخر، وبذلك اضفى عليها أكبر. وهذا بالطبع لم يمر بطريقة مباشرة واعية، بل مر عن

لغوية، ليتم الجمع بين صفات عديدة للغله مع كلمات عظمى وحسنة، كما ان عالقة العقاب-الثواب بين أألهل

.وأطفالهم، انعكست على العالقة إإللهية-إإلنسانية، لتستمد منها جميع القواعد

بين لنا اختصاصي أألعصاب بيرسينجر هذه العالقة والتي تصب في اكتفاء الحاجات البيولوجية أألولية للطفل

كالطعام والشراب والحنان التي يوفرها أألهل، فنرى التصاق كل وجبة طعامية مع مفردة الشكر لإللّه، لهذا نرى أن

لحاجة

جميع المنظمات الدينية التبشيرية تشارك الأفراد والجماعات الطعام والشراب، أي أن الإلهة أصبح مرافقا

. بيولوجية أساسية للإنسان

يتعلق الطفل بأمه كونها تؤمن له حاجاته الأولية كالطعام والدفء والحماية، إال انه عبر الزمن، يتالشى شعور

الضمان وحماية الأهل أطفالهم، وذلك لعدم استمرار الأهل مدى الحياة. وهنا تبدأ عملية التعويض عن فقدان الضمان

في فترة الطفولة الناجمة عن عجز الطفل عن تحمل مسؤوليته وعن الدفاع عن نفسه، ليقوم بعدها بإستبدال الأهل بقوة

في المجتمع

عظمى الحدودية، أو إله جبار، لهذا نستطيع فهم وجود آلهة أنثوية في الثقافات القديمة خصوصا

مع انتقال المجتمع من أمومي إلى أبوي ً الأمومي .

.سابقا ليتغير جنس اآللهة تدريجيا

بعد فترات طويلة قضاها الأنتربولوجي واختصاصي النفس جيزا روهيم متنقالً بين القبائل االسترالية، أكد لنا أثر

فحسب الطبيب النفسي وطبيب الأطفال دونالد وينيكوت الذي وجد ان صورة .الطفولة في ابتكار الأساطير واآللهة

الأم في نفوس الأطفال، فتتحول من أم رقيقة معطاءة إلى غول أو

تأخذ طابعا ساحرة، و يفسر هذا الشيئ بعدم ً جديدا

.قدرة الأم على اكتفاء جميع حاجات طفلها

وهنا نرى الكثير من االساطير المحكية عن وحوش أو شياطين أنثوية آكلة للحوم البشر، والمعاقبة للذكور كالعفريت

الذكور ليالً االأنثوي "كنارينتيا" والتي تأتي إلى لتجلس على عضوهم الذكوري فتقوم بمحاكمتهم وعقابهم إما بقطع

.العضو الذكري أو بقتلهم وذلك من خالل عضوها االأنثوي السام

هذه العفاريت البدائية الممثلة للعقاب واالساطير تستمد منابعها من عالقة الطفل-االأم. فنجد نساء قبيلة "بيتجينتارا" في

تجاه أوالدهن. وبنفس الوقت يقمن بالتهام الضعفاء من أطفالهن ليمنحن حنانا وعنايةً استراليا يتمتعن بعطف وحنين

شديدة لآخرين االقوياء. أي انها عملية انتقاء االأقوى من االأطفال كما تفعل بعض الحيوانات. وكما تؤكد لنا نظرية

.االصطفاء الطبيعي

من ناحية أخرى. تؤجج هذه العادات رغبة دفينة لالنتقام عند االأطفال. لهذا يجد البعض من اختصاصي علم النفس-

االأنتربولوجي. أن العفاريت واالأشباح تعكس بصورة أخرى رغبة الطفل في اختراق جسد أمه الفتراس جميع

لطفل عدوانيته تجاه أمه أوالً ثم يعكسها أعضائها. فكما قالت اختصاصية االأعصاب ميالني كالين "يعكس ا ، و من

".على أبيه. ليغرق في مخيالته الهادمة لألجساد

من أسباب)من المرجح ان عالقة االأم بطفلها منذ بدء تكوينه في رحمها وانفصاله عنها

لحظة الوالدة(. كانت سببا

. القلق الطفولي الذي ساعد في نسج القصص االأسطورية. و من ثم الدينية

هذا الشعور ال يمكنه المرور بطريقة سلمية. فهو يخضع إلى جملة مشاعر متناقضة وجملة من االأحاسيس بالذنب.

فال يمكن .لتنقسم العملية النفسية إلى قسمين يتراوحان ما بين الخير والشر. الجنة والنار. وبالطبع بين االلّه والشيطانتخضع لهذه التناقضات

لوجود إله من غير وجود نقيضه. فنحن جميعا النفسية. إال أن ارادتنا الواعية توجهنا نحو فهم

أوسع واختيار أفضل. بينما نرى ان اإلنسان الخاضع لمشيئة إلهه ودينه بشكل غير واع وذلك من دون التفكير أو

يشبه إ

التمحيض في تعاليم إلهه، إنسانا لى حد بعيد حالة الطفل غير الواعي لما يدور حوله، والمستسلم لحماية أهله له.

.ليمدد بعدها هذه المرحلة الشبيهة بالخضوع واالستسالم والراحة إللّه يعوضه عن التفكير والعمل

نالحظ أن عملية اقتران اإللّه بمفردات عدة ال تساعد كثيرا بعملية الفصل بين أألوهام وبين التجارب على قيام الفرد

واآللهة معا الفرد إلى بناء العملية الساعية إلى فهم وإدراك تتجاوز العفاريت والسحرة ، فالمفردات المقترنة باإللّه تدفع

حاجز بينه وبين االرادة الواعية لمعرفة تاريخه وعلله، إليجاد صيغ تناسب حاجاته البيولوجية والنفسية والتي يمكنها

.أن ال تتعارض مع مبدأ الجماعة

إذنن نالحظ أن التحكم باألفراد يتم عبر قنوات لغوية تنغرس في ذاكرتنا، لتصبح عبارة عن استنتاجات تلقائية خالية

من أي أسس تجريبية، فإذا قلنا من هو اإللّه؟ يأتينا جواب فوري فارغ من أي تحليل سليم، فاإللّه اصبح الجواب

.الرئيسي لكل فرد عاجز عن استخدام عقله